جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة – الجزائر
ISSN: 1112-4377, EISSN: 2588-2384
المجلد: 28 العدد: 5 السنة: 2024
مجلة المعيار
EL MIEYAR

التفسير الصوتي للّهجات العربية في ضوء القراءات القرآنية الشّاذّة

Phonetic interpretation of Arabic dialects in abnormal Quranic readings

فتيحة بوخروفة [1]
fatiha.boukheroufa@univ-emir.dz

نادية توهامي [2]
n.touhami@univ-emir.dz

تاريخ الاستلام: 2024/06/24 تاريخ القبول: 2024/08/29 تاريخ النشر: 2024/09/15
Received: 24/06/2024 Accepted: 29/08/2024 published: 15/09/2024

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى التفسير الصوتي للظواهر اللّهجية التي تعترض القراءات القرآنية الشّاذّة، ومن ثم تحاول فهم الأسباب وراء ظهور هذه اللهجات وتأثيرها على الأداء النطقي للنص القرآني. والإشكالية التي نسعى إلى دراستها في هذا الموضوع هي: هل يمكن اعتبار تعدد اللّهجات العربية من أسباب ظهور القراءات الشّاذّة؟ وماهي مختلف التفسيرات الصوتية لهاته الظواهر اللّهجية؟

وقد خلصنا إلى مجموعة من النتائج أبرزها أن فهم معاني القرآن الكريم وقراءاته المختلفة يتطلب معرفةً واطلاعاً واسعاً على لهجات العرب، فالقراءة الواحدة تنصرف إلى طرق عديدة في الأداء إذا تغير حرف من حروفها أو أبدل صوت بصوت آخر، وذلك حسب اللّهجة التي سلق عليها لسان كلّ قارئ.

Abstract:

This study aims to phonetically interpret the dialect phenomena that obstruct abnormal Qur'anic readings. The problem that we seek to study in this topic is: Can the multiplicity of Arabic dialects be considered one of the reasons for the emergence of abnormal readings? What are the various phonetic explanations for these dialect phenomena?

One of the results of this research is that One reading takes many different ways to perform if one of its letters is changed or one sound is replaced with another sound, depending on the dialect in which the tongue of each reader is spoken.

Keywords: Interpretation, sounds, Arabic dialects, abnormal Qur'anic readings.

(1) مخبر الدراسات اللغوية والقرآنية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية-قسنطينة-(الجزائر).
(2) مخبر الدراسات اللغوية والقرآنية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية-قسنطينة-(الجزائر).

مقدمة:

الحمد لله الذي أنزل هذا القرآن رحمة للعالمين، بلسان عربي مبين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين وبعد:

فإنّ القرآن الكريم مصدر اللغة العربية وتاريخها الذي يطلعنا على الواقع اللغوي لقبائل العرب، حيث كانت لغاتهم متناثرة في شبه الجزيرة العربية تختلف ألسنتهم باختلاف مواطنهم؛ لذلك كانت من رحمة الله بعباده أن يسر عليهم قراءة القرآن الكريم، فأخذوا يتدارسونه ويستنبطون أحكامه وحكمه ويقفون على إعجازه وبلاغته، فتعددت قراءات القرآن الكريم بمتواترها وشاذها حسب لهجة كلّ قارئ.

إشكالية الدراسة

شغلت القراءات القرآنية اهتمام الدارسين والباحثين خاصة المتواترة منها، أما القراءات الشاذّة فلم تلقَ ذلك الاهتمام من البحث خاصة فيما يتعلق بالجانب الصوتي لها، لذلك حاولنا في هذا البحث رد الاعتبار للقراءات الشاذّة؛ كونها تكتنز ذخيرة لغوية هائلة تعيننا على فهم لهجات العرب على اختلافها؛ فاشتغلنا بالتحديد على تفسير طابعها الصوتي، وتحديد مختلف الظواهر الصوتية بين اللهجات العربية المختلفة لفهم كيفية تطور اللغة. وقد اخترنا نماذج تطبيقية على بعض اللهجات الشاذة. ونسعى في سياق هذه الدراسة إلى استكشاف التأثيرات الصوتية لهاته اللهجات العربية على القراءات الشاذة من خلال الإجابة على الإشكال الآتي: ماهي الأسباب الصوتية التي أدت إلى ظهور هذه اللهجات؟ وما مدى تأثيرها على نشوء القراءات القرآنية الشاذة؟.

الهدف من الدراسة:

لا يخفى على كثير من الباحثين أنّ القراءات القرآنية بصفة عامة تعد زادا ثريا لدراسة اللغة بكافة مستوياتها، فهي تعرّفنا على التاريخ اللهجي لحياة العرب وسمت كلامهم، كما أنّ فهم كلام الله تعالى وكشف معانيه يستلزم أن يكون الباحث عارفا بلهجات العرب سواء كانت لهجات شائعة أو شاذّة. ومن هنا يظهر الهدف الأساسي من هذا البحث والمتمثل في عرضه لمختلف الظواهر اللّهجية النادرة التي جاءت في القراءات الشّاذّة، وتفسيرها صوتيا وبيان الفروقات وطرق الأداء التي تعترض أصواتها.

منهج الدراسة:

أما فيما يخص المنهج المعتمد في هذه الدراسة فقد اعتمدنا المنهج الوصفي القائم على آلية التحليل؛ وذلك بوصف مختلف اللهجات العربية وتحليلها من خلال عرض القراءات الشاذّة التي احتوتها ونسبتها إلى القبائل العربية التي سادت فيها وتفسير تراكيبها الصوتية من حيث المخارج والصفات وتفاعل الأصوات حسب خاصية التّأثير والتأثّر التي تفرضها في بنية الكلمة.

محاور الدراسة: شملت هذه الدراسة الهيكل التالي:

مقدمة

المحور الاول: التكامل المعرفي بين اللهجات العربية والقراءات القرآنية

1- تعريف اللهجة لغة واصطلاحا

2- الفرق بين اللغة واللهجة

3- تعريف القراءات الشاذّة

4- صلة اللهجات العربية بالقراءات القرآنية

المحور الثاني: التفسير الصوتي للظواهر اللهجية في القراءات القرآنية الشاذة

1- التفسير الصوتي لظاهرة التلتلة

2- التفسير الصوتي لظاهرة الاستنطاء

3- التفسير الصوتي لظاهرة الفحفحة

4- التفسير الصوتي لظاهرة الوتم

خاتمة وتوصيات

المحور الأول: التعريف بمفاهيم البحث

1/ تعريف اللهجة:

أ-لغة:

جاء تعريف اللهجة في معاجم اللغة بأنها طرف اللسان، وجرس الكلام وهي لغة المرء التي جبل ونشأ عليها... وسميت لهجة لأنّ كلاً يَلهج بلغته وكلامه (منظور، 1414 هـ، صفحة 359).

ومنه نخلص إلى أنّ اللهجةَ يدور معناها المعجمي حول اللغة وصور الكلام.

ب-اصطلاحا:

تعتبر اللهجات فرعا هاما من فروع علم اللغة، والتي تُعنى بمعرفة كيفيات وطرائق استخدام الأنظمة الصوتية داخل بيئات معينة، وترصد مختلف تطورات اللغة وتفاعلاتها مع مجتمعات مختلفة. ويرى عبد الغفار حامد هلال أن اللهجة مجموعة من العناصر اللغوية التي يشترك فيها جميع الأفراد في بيئة معينة (هلال، 1993م، صفحة 33) .

وبالتالي فاللهجة ذات نطاق محدود، تميز بيئة معينة وأفراد معينون ينتمون إلى هذه البيئة، وتختلف هذه اللّهجات من منطقة إلى أخرى وفق تغيرات في النطق والمفردات والتراكيب اللغوية.

2/ الفرق بين اللهجة واللغة:

يعكس التنوع اللغوي ثراء الثقافة والتاريخ البشري، فكل مجتمع يتحدث بطريقة تعبر عن هويته وانتمائه الجغرافي، مما يخلق مجموعة من الأساليب المختلفة للتواصل تشمل اختلافات في النطق والتراكيب اللغوية التي تتطور بناء على العوامل الجغرافية والاجتماعية.

وقد استطاع اللغويون القدماء والمحدثون على حد سواء التفريق بين اللغة واللهجة، حيث أجروا دراسات عديدة حول كيفية تطور اللغات وتنوعها، ويشير إبراهيم أنيس (أنيس، في اللهجات العربية، 1992م، صفحة 15) أن القدماء من علماء اللغة العربية كانوا يعبرون عما نسميه الآن باللهجة بكلمة اللغة حينا وباللحن حينا آخر. نرى هذا واضحا جليا في المعاجم العربية القديمة وفي بعض الروايات الأدبية، فيقولون مثلا: الصقر بالصاد من الطيور الجارحة وبالزاي لغة.

وأشار عبد الوهاب حمودة في تفريقه بين اللغة واللهجة إلى أن اللهجة تعكس الطريقة التي تنطق بها الكلمات وتؤدى بها الأصوات لتصل إلى السامع، مثل إمالة الفتحة والألف او تفخيمها وأيضا تسهيل الهمزة أو تحقيقها، فهي تركز على خصائص النطق وكيفية التعبير الصوتي عن الكلمات. أما اللغة فتتعلق بالألفاظ التي تعبر عن المعاني، بما في ذلك الأسماء والأفعال والحروف، وتشمل أيضا قواعد النحو التي تنظم تركيب الكلمات وإعرابها لتوضيح المعنى المطلوب، كما تغطي اللغة عمليات اشتقاق الكلمات وتكوينها وبنيتها (حمودة، 1948م، الصفحات 4-5).

فاللغة واللهجة مفهومان لوصف أنماط الكلام، بحيث أنهما يختلفان في معانيهما واستخداماتهما، ذلك أن اللغة هي نظام صوتي يحتكم إلى قواعد نحوية وصرفية ومعجمية، وتمثل الإطار الأوسع الذي يضم مختلف اللهجات. في حين أن اللهجة تنويع في اللغة تختلف عن بعضها البعض في كيفية النطق بالأصوات، وتعكس اللهجة البيئة الجغرافية التي ينتمي إليها متحدثوها حيث يتطور استخدام المفردات بشكل مختلف في مناطق معينة.

3/ تعريف القراءات القرآنية:

أ/ القراءات لغة: القراءات في اللغة جمع قراءة وهي بمعنى الجمع والضم، وسمي القرآن قرآنا لأنه يجمع السور والآيات بعضها لبعض (منظور، 1414 هـ، صفحة 130).

ب/ اصطلاحا

عرفها أبو حيان الأندلسي (الأندلسي، 1993م، صفحة 14) بأنها علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن.

في حين أن بدر الدين الزركشي فرق في تعريفه بين القرآن والقراءات (الزركشي، 2006م، صفحة 318) فالقرآن هو الوحي المنزل على محمد للبيان والإعجاز، والقراءات هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتبة الحروف أو كيفياتها من تخفيف وتثقيل وغيرها.

ونستنتج أن القراءات القرآنية هي الاختلاف في تلاوة القرآن الكريم، وهي طرق الأداء المختلفة التي نقل بها النص القرآني عن النبي صلي الله عليه وسلم بأسانيد صحيحة ومتواترة.

4/ تعريف القراءات الشاذة:

أ–لغة:

جاء في معجم مختار الصحاح للرازي (الرازي، 1986، صفحة 140) أن مصطلح الشُّذُوذُ من الفعل " شَذَّ عنه أي انْفرد عن الجمهور ونَدَرَ ويَشذُّ بالضم والكسر شُذُوذاً فهو شاذّ ".

ومنه فالشُّذُوذُ في معناه اللغوي يشير إلى القلّة والندرة والانْفِرَادُ عَنِ العَامَّةِ.

ب–اصطلاحا:

أشار السيوطي في الإتقان أن القراءة تنقسم إلى متواتر وآحاد وشاذّ، فالسبعة المشهورة تعد من القراءات المتواترة، والقراءات الثلاثة المكملة للعشر هي الآحاد، وقراءات التابعين كالأعمش ويحي بن وثاب وابن جبير وغيرهم هي القراءات الشاذة (السيوطي، 1974م، صفحة 258). وذكر ابن الجزري أن كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا، وصح سندها فهي القراءة الصحيحة، ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذّة أو باطلة سواء كانت عن السبعة أم عن هو أكبر منهم. (الجزري، النشر في القراءات العشر، صفحة 9). وتعتبر القراءات الشّاذّة من القراءات

الصحيحة التي صح سندها ووافقت اللغة العربية وخالفت رسم المصحف الإمام المجمع عليه، وإن كان إسنادها صحيحا فلا تجوز القراءة بها لا في الصلاة ولا في غيرها (الجزري، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، 1999م، صفحة 19).

ومنه فالقراءة الشاذة كل قراءة سقط منها شرط من شروط القراءة الصحيحة.

5/ صلة اللهجات العربية بالقراءات القرآنية:

نزل القرآن في بيئة عربية، وكان نزوله منجما مفرّقا على سبعة أحرف لغرض البيان والإفهام والتيسير على كلّ قبائل العرب، لإدراك الرّسالة الإلهية والإيمان بها، وقد أجاز النبي صلى الله عليه وسلم قراءة القرآن الكريم على الأوجه التي أقرأها إياه جبريل عليه السلام؛ فكانت كلُّ قبيلة تقرأ بلسانها فاختلفت بذلك القراءات القرآنيّة، وتمايزت الأصوات واللّكنات من قبيلة إلى أخرى، وقد أثّر بشكل كبير على اللهجات العربية وأسهم في ثراء المعجم اللغوي وتعدّد مفاهيم اللغة.

والتّنوع في القراءات القرآنية من مظاهر الإعجاز اللّغوي، وتحدٍّ للعرب وهم أهل فصاحة وبيان للإتيان بشيء مماثل يظهر بلاغة القرآن الكريم ونظمه الفريد. واللّغة بطبيعتها هي فطرة بشرية؛ فمن يتكلم بلهجة قريش مثلا يصعب عليه الانتقال إلى لهجة غير لهجته ولو أنّ كلَّ قبيلة من قبائل العرب عدلت عن لغتها لاشتدّ ذلك عليهم لأنّ ألسنتهم سلقت على لغتهم الأم، فلا يمكنهم ذلك إلا بعد مشقة طويلة (الجزري، النشر في القراءات العشر، صفحة 22).

وقد أورد ابن الجزري (ت833هـ) في كتابه النشر في القراءات العشر أحاديث كثيرة تؤكد أنّ هذا القرآن نزل بلهجات العرب رخصة لتلك الأمة الأمية التي بعث إليها النبي صلى الله عليه وسلم ومن أمثلة ذلك ما جاء في لفظ مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، تحت باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه، رقم الحديث 821 " عن أبيّ أنّ النبي صلى الله عليه وسلم كان عند أضاة بني غفار فأتاه جبريل فقال له ... إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على سبعة أحرف فأيّما حرف قرءوا عليه فقد أصابوا" (مسلم، 1955، صفحة 562).

وعليه فالقراءات القرآنية بمتواترها وشاذّها تعد مصدرا هاما لدراسة اللهجات العربية، لأنها تمثل الواقع اللغوي لمختلف القبائل في شبه الجزيرة العربية، وكلا العلمين (علم القراءات وعلم اللهجات) أسهما في تطور اللغة بمختلف مستوياتها. والغاية من تعدد القراءات القرآنية هو تيسير قراءة القرآن لكل قبيلة من قبائل العرب بمختلف لهجاتهم.

المحور الثاني: التفسير الصوتي للظواهر اللّهجية في القراءات القرآنية الشّاذّة

شهدت القبائل العربية تنوعا لهجيا خاصة مع اتّساع الرقعة الجغرافية واحتكاك العرب بالعجم؛ فمنهم من يحقق الهمز ومنهم من لا يحقق، ومنهم من عهد لسانه على الإبدال وبعضهم سلق على الإدغام والإمالة... وغيرها من الظواهر الصوتية التي استحسنها العلماء. وإلى جانب هاته الظواهر الصوتية السائدة في شبه الجزيرة العربية هناك لهجات شاذّة وهي محل هذه الدراسة، قال عنها بعض اللغويين أنها لهجات مستقبحة ومذمومة لا تمت للغة العرب بصلة، ومنهم من حاول رد الاعتبار لها كابن جني (ت392هـ) في كتابه المحتسب؛ حيث جاء ببعض هاته اللهجات في قراءات قرآنية شاذّة سبيلا منه لتصحيح نظرة علماء اللغة

لهذا النوع من القراءات القرآنية، وذلك بالاعتداد بها كمصدر من مصادر الاحتجاج اللغوي. وسنركز في دراستنا على مختلف اللهجات التي جاءت في القراءات الشاذّة وتفسير كل ظاهرة صوتيا، ويعتمد منهجنا في التفسير على ما يأتي:

- ذكر القراءة الشاذّة.
- تعيين لهجة القبيلة التي تنتمي إليها كل قراءة.
- توجيهها صوتيا بالاعتماد على المخارج والصفات والعلاقات الصوتية بين الحروف المتجاورة.
- بيان مختلف العوامل التي أدت إلى نشأة هاته اللهجة.

1-التفسير الصوتي لتلتلة بهراء (كسر حرف المضارعة):

تحدث الظواهر الإبدالية بين الصوامت كما تحدث بين الصوائت القصيرة، وتعرف الكسرة بأنّها من الصوائت القوية التي تأتي بعد الضمّة ثم تليها الفتحة والسكون باعتبارهما من أخفّ الحركات. وحروف المضارعة هي الهمزة والنون والياء والتاء التي تحتل صدر الفعل المضارع. فهناك من القبائل العربية من تكسر هاته الحروف استخفافا في الكلام وتعرف هذه الظاهرة بالتلتلة وأول من أشار إليها سيبويه (ت180هـ) تحت باب "ما تكسر فيه أوائل الأفعال المضارعة للأسماء"، وقد صرَّح بأنّ هذه الظاهرة واردة في كلّ لغات العرب ما عدا الحجاز، وذلك في قولهم: أنت تِعلم ذاك وأنا إِعلم، وهي تِعلم، ونحن نِعلم ذاك (سيبويه، 1982، صفحة 110) .

وتنسب هذه اللهجة إلى قبيلة بهراء وفي ذلك يقول ابن جنّي (ت392هـ) (جني، سر صناعة الإعراب، 2000م، صفحة 242): "وأما تلتلة بهراء، فإنها تقول: تِعلمون، وتِعقلون، وتِصنعون، بكسر أوائل الحروف". وتقع بهراء في قبيلة قضاعة، وهي مجاورة للشّام والعراق، فهل تأثرت هذه الظاهرة بما جاورها من لغات كالآرامية والعبرية اللتين اطرد فيهما كسر حرف المضارعة؟ (أنيس، في اللهجات العربية، 1992م، صفحة 139) . وللإجابة عن تساؤل إبراهيم أنيس حول طريقة ظهور هاته اللهجة نستعرض بعض القراءات الشّاذّة التي جسدت هذه الظاهرة.

وبما أنّ القراءات القرآنية هي انعكاس للهجات العرب، فقد ورد في الشّواذِّ منها ما يجسد هذه الظاهرة.

-فقد جاء في الشّواذ في قراءة يحي بن أبي وثاب: (**فإنّهم يِيلمون كما تيلمون**) يقول ابن جنّي (جني، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، 1998م، صفحة 302): " العرف في نحو هذا أن من قال: أنت تِئمن وتِئلف وإِيلف فكسر حرف المضارعة إذا صار إلى الياء فتحها البتة فقال: هو يَألف ولا يقول هو يِيلف استثقالا للكسرة في الياء".

والظاهر من قول ابن جنّي (ت392هـ) إنّ العرب كانت تكره إيصال الكسرة بالياء، باعتبار أن حركة الكسرة نشأت عن حرف الياء؛ كما جاء في سر الصناعة أنّ الحركات أبعاض لحروف المد الثلاثة (الألف والواو والياء)، فاستثقلت العرب الكسرة مع الياء لصعوبة مجرى الهواء في الفم. وذهب سيبويه إلى كراهية ذلك مادام المعنى لا يطرأ عليه لبس (سيبويه، 1982، صفحة 110).

-وجاء في الشّواذّ أيضا (**يكاد البرق يِخطف أبصارهم**)، كسر حرف المضارعة يِخطّف إتباعا لكسرة فاء الفعل ما بعده وأصلها اختطف، فأسكن التاء للإدغام وانكسرت الخاء بعدها وأدغمت في الطاء فصار خِطّف (جني، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، 1998م، صفحة 140) .

والإتباع الحركي من الظّواهر الصوتية التي شاع استعماله عند العرب؛ لما فيه من خفة في النطق وسرعة في الوصل بين الحروف المتجاورة والانسجام بين الأصوات. وقد شاع هذا عند البدو لسرعة النطق عندهم على غرار قيس وأسد وتميم وهذيل وغيرها من القبائل البدوية، هذه السرعة التي تتطلب تقريب الحروف وإدغامها اقتصادا في الجهد العضلي للجهاز النطقي.

-ومن ذلك أيضا قراءة يحي (ت103هـ) والأعمش (ت148هـ) (**فتِمسكم النار**) قال أبو الفتح (جني، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، 1998م، الصفحات 452-453): " هذه لغة تميم، أن تكسر أول مضارع ما ثاني ماضيه مكسور نحو علمت تِعلم، وأنا إِعلم وهي تِعلم، ونحن نِركب، وثقل الكسرة في الياء نحو يِعلم ويِركب، استثقالا للكسرة في الياء".

ويرى عبده الراجحي (الراجحي، 1996م، صفحة 115) أنّ القبائل التي تميل إلى كسر حرف المضارعة قد تأثّرت بلغات أخرى كالعِبرية التي "تكسر حرف المضارعة في معظم الأوزان فالفعل (shamar) (شمر) مضارعه (yishmar) (يِشمر) والفعل (dibber) (دِبّر) مضارعه (yidabbir)".

ومما سبق نخلص إلى أنّ:

- كسر حرف المضارعة أو ما يسمى بظاهرة التّلْتَلَة كانت سائدة في كلّ لغات العرب خاصّة القبائل البدويّة التي تميل إلى الخِفّة بالكسر، عكس القبائل الحضرية التي عهدت على الفتح مثل قبيلة الحجاز.
- أنّ هذه الظاهرة تكون في الحالات التي يكون فيها الماضي على وزن فَعِلَ ولم يكن حرف المضارعة ياء وذلك لصعوبة نطق الكسرة مع صوت الياء.
- لا تزال ظاهرة التلتلة سارية في أغلب البلدان العربية كمصر والأردن والعراق وسوريا ولبنان والجزائر.

2-التفسير الصوتي لظاهرة الاستنطاء:

تُقلب الأصوات المتجاورة مع بعضها البعض حسب خاصية التّأثير والتّأثُّر، فتتغير الصفات الصوتية للأصوات من الجهر إلى الهمس أو من التفخيم إلى الترقيق وغير ذلك...ويحدث هذا القَلب والتّغيّر غالبا مع الحروف المتقاربة في المخرج.

وظاهرة الاسْتِنْطَاء من الظّواهر الصّوتية التي لا تخضع لمبدأ التّقارب بين الصّوتين المبدلين. فهي تحدث نتيجة قلب العين الساكنة نونا في كلمة أعطى ومشتقاتها. فالعين صوت مجهور مخرجه وسط الحلق، والنون مجهور مخرجه حافة اللسان مع أصول الثنايا العليا، والمخرجين متباعدين تماما، فلماذا حدث الإبدال بينهما؟ هل هو نتيجة لخطأ لغوي في بعض قبائل العرب أم له تفسيرات صوتية أخرى؟ وهذا ما سنكتشفه من خلال عرض بعض القراءات الشاذة، وآراء اللغويين القدامى والمحدثين حول هذه الظاهرة. ومن القراءات الشاذة التي جاءت بها ظاهرة الاستنطاء ما يلي:

-ما جاء في قراءة أبي والحسن وابن مسعود (**إنّا أنْطَيْناك الكوثر**) بالنون لغة (خالويه، 1934م، صفحة 181).

وقد توسّع الفرّاء (ت207هـ) كثيرا في حديثه عن هذه الظّاهرة بنسبتها لبعض القبائل الأخرى كسعد بن بكر وهذيل وقيس والأزد والأنصار بالإضافة إلى تحديد شروط الإتيان بها وذلك بقلب العين ساكنة نونا إذا جاورت الطاء كأنطى في أعطى (السيوطي، 1998م) .

كما حظيَت هذه الظاهرة باهتمام كبير من قبل اللغويين المحدثين نظراً لأهميتها في فهم تطور اللغة وكيفية تحوّل الأصوات التي لا تخضع لمبدأ التّقارب. فيرى إبراهيم السامرّائي أنّ كلمة (أعطى) أصلها (أتى) ثم ضعف الفعل فصار أتّى بتشديد التاء وفك الإدغام يقتضي إبدال النون بأحد الحرفين المتجانسين مثل (جندل)، أصلها (جدّل) بتشديد الدال (السامرائي، 1961م، صفحة 217).

وقد جاء في القراءات الشّاذّة عن ابن مسعود (ت32هـ) والأعمش (ت148) "**أنْطاهم تقواهم**" بالنون والطاء لغة (خالويه، 1934م، صفحة 141).

ويُشير إبراهيم أنيس إلى أنّ هناك من القبائل من كانوا ينطقون حرف العين نطقا أَنْفَميًّا، ويميل كذلك بعض المستشرقين إلى أَنْفَمِيَّةِ العين الملازمة للسّامية الأولى، وقد فسّر ذلك رابيين بأن هذه الظاهرة لا تقتصر على الفعل أعطى فحسب، وإنما تمتد جدورها إلى الفعل (نطا) في العبرية (أنيس، في اللهجات العربية، 1992م، صفحة 142).

ونرى أن هذه الصفة مستحدثة لم تشرْ إليها الدّراسات اللّغوية القديمة لأنّ انتقال مجرى صوت العين فيها مشقة بانتقالها إلى الأنف واكتسابها صفة الغُنّة، وهذا فيه نوع من المشقة والجهد، في حين أنّ العرب بطبيعتها تميل إلى السهولة في النّطق.

ويفهم مما سبق أنّ ظاهرة الاسْتنطاء لم تحدث نتيجة خطأ لغوي أو لهجي، وإنما هي أصيلة بين قبائل العرب نتيجة التأثر باللغات السامية والعبرية، ولا تزال جذورها تمتد حتى الآن في بعض البلدان العربية كالعراق وغرب السودان وبعض المدن الفلسطينية واليمن.... وقد شاع الاستنطاء أكثر في القبائل البدوية لأنها تميل إلى السرعة في النطق وانتقاء الأصوات اليسيرة، والنون أخف الحروف نطقا من العين لذلك كان الإبدال فيه جائزا.

3-التفسير الصوتي لظاهرة الفحفحة:

الفحفحة هي قلب الحاء عينا في لغة هذيل (السيوطي، 1998م، صفحة 176). وجاء في القراءات الشّاذّة ما يمثل هذه الظاهرة:

-في قراءة ابن مسعود (ت32هـ) (**عتى حين**). يقول ابن جنّي (ت392هـ) (جني، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، 1998م، الصفحات 14-15): " العرب تبدل أحد هذين الحرفين لتقاربهما في المخرج، كقولهم: بحثر ما في القبور، أي بعثر. وضبعت الخيل أي ضبحت، وهو يحنظي ويعنظي: إذا جاء بالكلام الفاحش، فعلى هذا يكون عتّى وحتّى، لكن الأخذ بالأكثر استعمالا، وهذا الآخر جائز وغير خطأ".

وقد أشار الزّمخشري (ت538هـ) (الزمخشري، 1998م، صفحة 283) إلى ذلك بقوله: "وفي قراءة ابن مسعود (**ليسجننه عتى حين**): وهي لغة هذيل، وعن عمر رضي الله عنه أنّه سمع رجلا يقرأ (عتى حين) فقال: من أقرأك؟ قال: ابن مسعود، فكتب إليه: إنّ الله أنزل هذا فجعله عربيا، وأنزله بلغة قريش، فأقرئ الناس بلغة قريش، ولا تقرئهم بلغة هذيل، والسلام".

ويرى إبراهيم أنيس أنّ هذه الرواية بعيدة الاحتمال لأنها تناقض حديث التيسير في القراءات الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم إلا إذا أريد به النهي عن إرغام قريش على القراءة بغير ما يستطيعون (أنيس، في اللهجات العربية، 1992م، صفحة 108).

وتفسر هذه الظاهرة بالتّقارب بين مخرج الحاء ومخرج العين فهما من الحروف الحلقية التي تشترك في صفات مثل الاستفال والإصمات. وقد أشار ابن جني إلى أنّ الحاء فيها بحّة يجري معها النّفس، عكس العين التي ينحبس فيها النفس ولولا هذه البحّة لكانت عينا (جني، سر صناعة الإعراب، 2000م، صفحة 254) .

وأضافت بعض الدّراسات الحديثة أن تفسير هذا الإبدال راجع إلى التّأثُّر ببعض اللُّغات الأخرى، فهناك ترابط بين كلمة (عَتّى) ونظيرتها (عَدّى) المتواجدة في العربية الجنوبية، وبعض اللّغات السَّاميّة، وكلمة (عَدَّ) العبرية كذلك، التي تحمل نفس معنى (حَتى) (أنيس، في اللهجات العربية، 1992م، صفحة 109) .

ونَخلُص مما سبق ذكره أنّ ظاهرة الفحفحة جرى استعمالها في بيئة بَدوية تميل إلى الجهر بالأصوات القوية لتوضيحها وإبانتها للسامعين. وأن تجادب المخارج يحدث الإبدال بين الأصوات وتأثير بعضها على بعض سواء بالجهر أو بالهمس.

4-التفسير الصوتي لظاهرة الوتم:

الوَتْم هو قلب السين تاء. فقد جاء عن الفرّاء(ت207هـ) نسبة هاته الظاهرة إلى لغة اليمن، حيث يجعلون السين تاء كالنّات في النّاس (السيوطي، 1998م، صفحة 176) .

وجاء في مختصر الشّواذّ لابن خالويه (خالويه، 1934م، صفحة 183): "(**قل أعوذ برب النّات**). حكاه أبو عمرو أنها لغة قضاعة "، وفسّر سيبويه (ت180هـ) هذه الظاهرة بأن التاء تبدل من السين والسّين تبدل من التّاء، فستة أصلها سدسة فأبدلوا من السين الثانية تاء ومن الدال تاء وأدغموا التاء في التاء، وأما السين من التاء فيقولون اسْتخذْ ربك سبحانه يريدون اتّخذْ (سيبويه، 1982، صفحة 481). وأضاف ابن جنّي(ت392هـ) بأنّ هناك تطابق في صفات هذين الصوتين؛ فالتاء مهموسة كما أن السين مهموسة أيضا بالإضافة إلى تجاور مخرجيهما لذلك كان الإبدال فيهما جائزا (جني، سر صناعة الإعراب، 2000م، صفحة 165).

ويرى إبراهيم أنيس أنّ هناك بعض القبائل البدوية في اليمن تقلب الأصوات الرخوة إلى نظيرتها الشديدة مثل قبيلتي خَثْعَم وزُبيد... ويضيف أنّ النفس ينحبس انحباسا محكما عند التقاء طرف اللّسان بأصول الثّنايا العليا في حين أن انحباسه في حرف السين لا يكون محكما (أنيس، في اللهجات العربية، 1992م، صفحة 105). ولا يكاد يخرج تفسيره عما جاء به القدماء في تقارب مخرج الصوتين واشتراكهما في صفة الهمس.

ومما سبق نخلص بأنّ هذه الظاهرة نشأت لأسباب منها:

- الطبيعة الجغرافية للقبيلة البدوية التي يتّسم أهلها بالغِلظَة والقوة في النطق بالأصوات الشّديدة بدلا من الأصوات الرّخوة.
- الخضوع لقوانين الجذب الصوتي بين الأصوات المتجاورة، فيُبدل أحدهما من الآخر، فكلا الصوتين مخرجهما طرف اللسان.
- كما يمكن أن تحدث هذه الظاهرة نتيجة لَثْغَة في الكلام، ويحدث هذا الاضطراب غالبا في الأصوات التي تكون في مقدمة اللسان ومن بينهما حرف السين.

خاتمة

وفي ختام هذا البحث نخلص إلى مجموعة من النتائج من أهمها:

- القراءات القرآنية تصور الواقع اللّغوي واللّهجي لقبائل العرب على اختلاف مواطنهم.

- تعدُّد القراءات مردُّه الاختلاف في اللهجات الذي أسهم في إثراءِ الدرس اللغوي من جهة وفهمٍ أعمق للغة القرآن وتفسيرِ معانيه من جهة أخرى.
- القراءات القرآنية الشاذّة هي ذخيرة لغوية تحوي لهجات متناثرة بين قبائل العرب، وردت عن الصحابة والتابعين، لذلك فهي تُعد مصدرا هاما من مصادر الاحتجاج والتّقعيد اللغوي.
- الإبدال بين الحروف المتقاربة من أهم الأسباب الصوتية التي أدت إلى نشأة اللّهجات كالإِسْتنطاء والفَحفحة والتَّلْتلة... وغيرها من الظواهر التي لاتزال آثارها حتى اليوم في بعض المناطق العربية.

توصيات

وفيما يلي بعض التّوصيات المقترحة في هذه الدراسة

- ضرورة البحث في خبايا القراءات القرآنية الشَّاذّة لأنها تحمل العديد من الذّخائر اللّهجية التي تعين الباحثين على استقراء واستنباط مختلف قواعد الأنظمة اللغوية، خاصة النظام الصوتي.
- الإكثار من البحوث والدراسات التي تُعنى بتفسير الدلالات الصوتية للقرآن الكريم وقراءاته المختلفة خاصة الشّاذّة منها.
- الاحتجاج بالقراءات القرآنية الشّاذّة في التفسير لأن أغلب قرّاءها فصحاء، نشأوا في بيئة لغوية سليمة من اللّحن.
-

قائمة المصادروالمراجع

إبراهيم السامرائي. (1961م). *دراسات في اللغة*. بغداد: مطبعة العاني.
إبراهيم أنيس. (1992م). *الأصوات اللغوية*. مصر: مكتبة النهضة.
إبراهيم أنيس. (1992م). *في اللهجات العربية*. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
ابن جني. (1998م). *المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها*. بيروت: دار الكتب العلمية.
ابن جني. (2000م). *سر صناعة الإعراب*. بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.
ابن خالويه. (1934م). *مختصر في شواذ القرآن من الكتاب البديع*. مصر: المطبعة الرحمانية.
أبو الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري مسلم. (1955م). *صحيح مسلم*. القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه..
أبو الفضل جمال الدين ابن منظور. (1414 هـ). *لسان العرب*. بيروت: دار صادر.
أبوحيان الأندلسي. (1993م). *تفسير البحر المحيط*. بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.
الجاحظ. (1423هـ). *البيان والتبيين*. بيروت، لبنان: دار ومكتبة الهلال.
الخليل بن أحمد الفراهيدي. (بلا تاريخ). *العين*. دار ومكتبة الهلال .
الزمخشري. (1998م). *الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل* . الرياض: مكتبة العبيكان.
بدر الدين الزركشي. (2006م). *البرهان في علوم القرآن*. القاهرة: دار الحديث.
جلال الدين السيوطي. (1998م). *المزهر في علوم اللغة وأنواعها*. بيروت: دار الكتب العلمية.

سيبويه. (1982). *الكتاب*. الرياض: دار الرافعي.

شمس الدين أبو الخير ابن الجزري. (1999م). *منجد المقرئين ومرشد الطالبين*. دار الكتب العلمية.

شمس الدين أبو الخير ابن الجزري. (بلا تاريخ). *النشر في القراءات العشر*. بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.

عبد الغفار حامد هلال. (1993م). *اللهجات العربية نشأة وتطورا*. القاهرة: مكتبة وهبة.

عبده الراجحي. (1996م). *اللهجات العربية في القراءات القرآنية*. الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

Ibrāhīm al-Sāmarrā'ī. (1961m). Dirāsāt fī al-lughah. Baghdād : Maṭba'at al-'Ānī.

Ibrāhīm Anīs. (1992m). al-aṣwāt al-lughawīyah. Miṣr : Maktabat al-Nahḍah.

Ibrāhīm Anīs. (1992m). fī al-Lahajāt al-'Arabīyah. al-Qāhirah : Maktabat al-Anjlū al-Miṣrīyah.

Ibn Jinnī. (1998M). al-Muḥtasib fī Tabyīn Wujūh shawādhdh al-qirā'āt wa-al-īḍāḥ 'anhā. Bayrūt : Dār al-Kutub al-'Ilmīyah.

Ibn Jinnī. (2000M). Sirr ṣinā'at al-i'rāb. Bayrūt, Lubnān : Dār al-Kutub al-'Ilmīyah.

Ibn Khālawayh. (1934m). Mukhtaṣar fī shawādhdh al-Qur'ān min al-Kitāb al-Badī'. Miṣr : al-Maṭba'ah al-Raḥmānīyah.

Abū al-Ḥusayn ibn al-Ḥajjāj al-Qushayrī al-Nīsābūrī Muslim. (1955m). Ṣaḥīḥ Muslim. al-Qāhirah : Maṭba'at 'Īsá al-Bābī al-Ḥalabī wa-Shurakāh.

Abū al-Faḍl Jamāl al-Dīn Ibn manẓūr. (1414 H). Lisān al-'Arab. Bayrūt : Dār Ṣādir.

abwḥyān al-Andalusī. (1993M). tafsīr al-Baḥr al-muḥīṭ. Bayrūt, Lubnān : Dār al-Kutub al-'Ilmīyah.

al-Jāḥiẓ. (1423h). al-Bayān wa-al-tabyīn. Bayrūt, Lubnān : Dār wa-Maktabat al-Hilāl..

al-Khalīl ibn Aḥmad al-Farāhīdī. (bi-lā Tārīkh). al-'Ayn. Dār wa-Maktabat al-Hilāl

al-Zamakhsharī. (1998M). al-Kashshāf 'an ḥaqā'iq al-tanzīl wa-'uyūn al-aqāwīl. al-Riyāḍ : Maktabat al-'Ubaykān.

Badr al-Dīn al-Zarkashī. (2006m). al-burhān fī 'ulūm al-Qur'ān. al-Qāhirah : Dār al-ḥadīth.

Jalāl al-Dīn al-Suyūṭī. (1998M). al-Muz'hir fī 'ulūm al-lughah wa-anwā'hā. Bayrūt : Dār al-Kutub al 'Ilmīyah.

Sībawayh. (1982). al-Kitāb. al-Riyāḍ : Dār al-Rāfi'ī.

Shams al-Dīn Abū al-Khayr Ibn al-Jazarī. (1999M). Munajjid al-muqri'īn wa-murshid al-ṭālibīn. Dār al-Kutub al-'Ilmīyah.

Shams al-Dīn Abū al-Khayr Ibn al-Jazarī. (bi-lā Tārīkh). al-Nashr fī al-qirā'āt al-'ashr. Bayrūt, Lubnān : Dār al-Kutub al-'Ilmīyah.

'Abd al-Ghaffār Ḥāmid Hilāl. (1993M). al-Lahajāt al-'Arabīyah Nash'at wtṭwrā. al-Qāhirah : Maktabat Wahbah.

'Abduh al-Rājiḥī. (1996m). al-Lahajāt al-'Arabīyah fī al-qirā'āt al-Qur'ānīyah. al-Iskandarīyah : Dār al-Ma'rifah al-Jāmi'īyah.